وجوب معرفة تنوع الأحكام

الشيخ
أبو قتادة الفلسطيني
حفظه الله ورعاه

غرفة الفجر الإسلامية

تفريغ خطبة بعنوان

وجوب معرفة تنوع الأحكام

خطبة قديمة

مدة المادة: ٤٧:٢٢

الشيخ
أبو قتادة الفلسطيني
حفظه الله ورعاه

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فتركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء والطريق الواضح، ليلها كنهارها، لايزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكبها إلا ضال،

أما بعد:

من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

أيها الأحبة في الله..

كما تبين لنا بأن حوادث نصرة الله عز وجل لأنبيائه ورسله، ولأتباع الأنبياء والرسل، لا تسير على نسق واحد، ولا على وتيرة واحدة، بل جل في علاه ينوع أخبار الأنبياء، وينوع وقائعهم، حتى يدلل جل في علاه على أنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء، ولايقف أمام إرادته إرادة، ولا يعطل مشيئته مشيئة، بل سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده، فهو الذي نصر موسى عليه السلام، إذ رُبي في حِجر أكبر طاغية في عصره، في حجره وفي قصره، وهو الذي قرر قتل الذكور واستحياء النساء والبنات،ومع ذلك فالله عز وجل أخرج نصره من رحم الكفر، ومن بوتقة الشرك، ومن وسط القصر من وسط جمعه وجنده وعلى عينه، بل كان يدفع الأجرة لأمه التي ترضعه، فكان لها الأجر من الله عز وجل بإرضاع ابنها، وكان لها الأجر من فرعون، أن يدفع فرعون مالاً لذلك الرجل الذي قرر ربنا وقدر أن يجعل هلكة ملكه على يديه.

وفي وسط زعيم سدنة الكفر آزر، يُخرج الله عز وجل ابراهيم، وينوّع الرّب جل في علاه، فهذا عيسى عليه السلام يخرجه جل في علاه آية وبقية الأنبياء، فهذا نبي آمن لنبي كما آمن لوط لإبراهيم عليه السلام فليس هناك ثمة نسق واحد لا يعرفه الناس إلا من هذا الطريق في معرفة نصرة الله، بل جل في علاه ينوع الأمثال، ويغير المقادير،

من أجل أن يبين أن مشيئته، وأن قدرته، وأن إرادته لا يردها شيء، وإذا أراد الله عز وجل نصرة قومٍ، وأراد تأييد أمة، فلا ينبغي أن تنظر إلى حالها من جهة ما فيها من أقدار، بل يجب عليها أن تتطلع إلى ما فيها من امتثال لشرع الله، لا ينبغي لها أن تقول: حالنا يختلف عن حالهم وأمرنا يختلف عن أمرهم.

فهذا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يكون الذي أمامه فرعون أشد من فرعون موسى، أبو جهل، وكادوا فيه وله من أنواع المكائد ما الله بها عليم.

وكلما اشتدت الأزمة وكلما اشتد الطغيان كان الأمل بنصر الله، فلو تفكرتم في حاله صلى الله عليه وسلم في يوم الهجرة وهي اللَبِنة الأولى لتشييد نصرة الله لهذا الدين عندما أجمعوا أمرهم اجتمعت قريش بقدّها وقديدها في اللحظة التي قررت أن تقتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمرهم يدبر على الأرض وكان أمر الله عز وجل يقدر في السماء، يشتد طغيانهم، يشتد غيظهم يشتد حقدهم عليه!! وكلما اشتد حقدهم وكثر تدبيرهم وتمالأ شرهم، كانت إرادة الله عز وجل بالنصرة في تلك اللحظة، فلا يجوز لأحدٍ أن يقول لابد أن يكون حالنا هكذا من الأقدار المختلفة والأحوال المتنوعة لتتم النصرة فكل نبي من الأنبياء له حالة.

هناك نبي ملك وهناك نبي ابن سادن النار، وهناك نبي ابن قوم مستضعفين أراذل، تحت سيطرة فرعون، وهم بنو إسرائيل، يقتل الأبناء، ويستحيي النساء، ويسخرهم لأرذل الأعمال، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ كما يقول فرعون عن بني إسرائيل.

وكذلك لو رأيت إلى نصرة الله للدعوات التي قام فيها أتباع الأنبياء لرأيت كل حالة تختلف عن أخرى، فهذا محمد بن عبد الوهاب في قرية منسية في عمق الصحراء لا يلتفت لها أحد، ولا تسترقها الأنظار، ولا تسرق الأنظار، ومع ذلك خرجت منها الجموع، وحصل فيها الخير، جهلٌ مدقع، وبؤسٌ شديد، وفرقةٌ قاتلة، وشركٌ متلاطم، وتناحرٌ بين القبائل، وقلة ذات اليد، صحراء لا شيء فيها ومع ذلك كانت مصدر خير، فلا ينبغي لأحد أن يقول: إن نصرة الله عز وجل لا تقع إلا على هذا النسق من الأقوام، ولا على هذا النمط من الأحوال القدرية، بل الواجب أن يتفكر الناس، ويتفكر المتفكرون، في مقدار تحقق الأمر الشرعي في هذه الأمة من الأمم، فإن الله عز وجل يذل الدول

العظيمة بقوتها، الغنية بثرواتها، إذا لم يتحقق فيها أمر الله؛ وإن الله عز وجل ليرفع أقواماً من الذلة إلى العزة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الفرقة إلى الوحدة، إذا كان فيها دين الله «**وإن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»، فالتنوع في الأقدار دليل على قوة الله، وعلى قدرته، ويجب أن لا يكون مسار بحثٍ في بحثِ أين تكون النصرة.

فإن الله عز وجل أعلم حيث يضع رسالته؛ ولذلك كان من سبب كفر أقوام أنهم حسدوا أن يخرجوا من مكة، وأن يخرج رجلٌ يتيم، وليس من القريتين عظيم أن يخرج نبي. اليهود كانوا يتطلعون إلى أن يكون النبي منهم، من بني إسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين فلما جاء من العرب حسدوا نعمة الله التي حطت في وسط هؤلاء القوم.

وإن أقوامًا من العظماء في مكة حسدوا أن تكون النبوة في يتيم، وأيُّ يتيمٍ هذا؟!

هل ورث مالاً؟

هل كان ذو شأن وسلطان؟

بل كما وصف نفسه عليه الصلاة والسلام كان يرعى غنم قريش على قراريط، على دراهم قليلة، كان راعياً عليه الصلاة والسلام يرعى من أجل أن يأكل لقمة الخبز، ووصف أمه عندما دخلت عليها امرأة ففرقت، خافت من شدة هيبته عليه الصلاة والسلام، ففرقت!! قال: «**لا عليك إنما أنا ابن أمة كانت تأكل القديد بمكة**» أي لا تأكل اللحم الطازج، إنما تأكل اللحم المقدد، وذلك لفقرها «**إنما أنا ابن أمة كانت تأكل القديد بمكة**» ولذلك الواجب على الناس أن لا يلتفتوا إلى تلك الأمور القدرية في أمة من الأمم وفي شعب من الشعوب، وبئس من يقول إن الله عز وجل لا يمكن أن يجعل نصرة هذا الدين على هؤلاء القوم، ما الذي تنقمه من هؤلاء القوم؟! فتراه ينقم عليهم فقرهم أو ينقم عليهم عدم تاريخهم.

بنو إسرائيل أصحاب التاريخ الطويل المفعم والممتلئ بالنبوة والعلماء، التاريخ الذي اهتمت به الكتب السماوية، وكأن أحداث التاريخ توقفت عند بني اسرائيل، فهم أصحاب الخبرة، وهم أصحاب السلاسل العلمية وهم أصحاب المشيخات المتسلسلة

عمامة وراء عمامة، فكيف تنزل النبوة في قومٍ لا يعرف فيهم النبوة وليس لهم هذا السند المضيء وليس لهم هذا التاريخ المفعم؟!

كيف تكون فيهم النبوة؟

وهكذا تسمعون من هذه الشنشنات وهذه الأقوال ممن يبحثون عن صور قدرية لِما استقر في أذهانهم أن لا يكون نصر الله إلا بها، ولا يكون نصر الله إلا معها ولا يكون نصر الله -كما يتخيلون- إلا من خلالها، فإذا جاء أمر الله في مكان علم الله فيه الخير، والله أعلم حيث يجعل رسالته، حسدوا ونقموا وصاروا يفتخرون عليها كما افتخرت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاروا يفتخرون عليها كما افتخر بنو إسرائيل على العرب بإرسال النبوة فيهم.

ومما ينبغي أن يُعلم أنه لابد من معرفة الحال من أجل معرفة تنوع الخطاب القرآني والخطاب النبوي المعروف عنه صلى الله عليه وسلم أنه الرحيم وصدق من سماه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وهو إمام الحكمة البالغة وإمام جوامع الكلم.

رسولنا صلى الله عليه وسلم كاد أن يهلك نفسه رغبة في إيمان أهل بلده وفي إيمان عشيرته وقومه ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

يكاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهلك نفسه من أجل إيمان عشيرته وقومه، يحب لهم الخير ويترفق بهم بل يرسل لهم الرسائل وكان في مكة يذهب برجله الشريفة يطوف في نواديهم وفي أماكن تجمعاتهم وفي أوقات مواسم الخير عندهم، من أعيادٍ كأوقات حجٍ وغيره، وفي ثمرهم من أجل أن يبلغهم الكلمة وهذا موطن حين يكون البلاغ بالكلمة، تكون الرحمة ويكون الرفق، وتكون الحكمة تعني حينئذٍ أن يترفق المرء بالذي يدعوه والذي يتكلم معه.

لكن أين رأيت هذا كله وقد حضرت مواطن القتال؟

وقد حضرت مواطن البأس والجهاد، أرأيت أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقف في غزوة بدر -مثلًا- أو في أحد أو الخندق يثبط الجيش يدعوهم إلى الرفق لعل الله يُخرج من أصلابهم من يعبد الله؟

هل رأيت واحداً من الناس يوم ذاك يقول هذه الكلمات؟

بل انظر إليهم وهم يتحينون الفرص لقتل خصومهم وإحداث النكاية فيهم في موطن البأس ترى شدةً وقوةً وبلاءً وتصيدًا ومكيدًا بأعداء الله.

وفي موطن الدعوة ترى حكمة وترى ترققاً وترفقاً في الناس يدعونهم إلى الخير، فهل ترى ثمة تعارض بين هذا وهذا؟

حين يدعى صحابي جليل إلى القتال في زمن فتنة الصحابة، يدعى سعد بن أبي وقاص هذا الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُريش له السهم ويقدمه إليه ويقول: «**ارمِ فداك أبي وأمي**» ويرمي، ولكنه عند حضور القتال بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لن أقاتل حتى ينزل لي سيف من السماء يفرق بين المحق والمبطل، هنا شدة وبأس ورمي مع قرارة نفس بصواب ما يفعل، وهناك تشكك وإجفال وتردد من أن يقول كلمة تثير شراً بين المسلمين.

فكيف تجمع القلوب هذه الأحوال المتعددة والتي لا يمكن للمرء أن يجمعها إلا أن يكون عاملًا لله، عالماً بدين الله، أما أن يكون المرء شديدًا في كل باب، مقدامًا في كل حالة هذا هو التهور بعينه.

أن يكون شديداً في كل حالة وفي كل باب، هذا هو السفه بعينه، أو أن يكون متردداً في كل حالة، فهذا هو الجبن بكل مافيه.

وأما المسلم الذي يرقب إرادة الله ويريد وجه الله ويكون عالمًا بدين الله، نعم يكون شديداً في وقت تظن أن الدنيا لا تقف له، لا تزعزعه الموانع، ولا تقف أمامه الموانع مقدام شديد.

ربما الناس يثبطونه ويريثونه وهو لا يلتفت لهم، وفي وقت آخر يجلس كحلس بيته «**كونوا أحلاس بيوتكم**» أي أن يكون المرء ككرسي في البيت لا ينطق ولا يتكلم ولا بلفظة واحدة، بل لا يروم مكانه إلا لصلاة أو لخير ولا يمشي برجله في أمرٍ من أمور الناس.

كيف يجمع المرء بين هذه المتناقضات، والعجب من بعض الناس يظنوا أن الحكمة هي اللين دائمًا، أو أن بعض الناس يظن أن الشدة هي الحكمة دائمًا، وهذا غلطٌ وخلطٌ غريب يؤدي إلى إفساد أحوال العباد وأحوال العالم، فلابد أن يكون المرء جريئًا في باب ومن جاء ليخوفه من حمله للسلاح ومن قتاله فهو التثبيط، أليس في أمة محمد من يُثَبّط؟

وهناك في أحوال يجب على المرء يلزم مقعده وأن يسكن في بيته فمن جاء يريمه حركة وريبة فعليه أن يظن به السوء وأنه يريد به الفتنة، هذا هو تمام الخير بالنظر إلى إخلاصه أنه لا يريد لنفسه بل في بعض الأحوال -كما قال صلى الله عليه وسلم-: «**لو رأيت شعاع السيف**» وخفت من شعاع السيف، ماذا خفت منه؟ خفت منه أن يحركك لقتال، لو دخل أحدهم على بيتك وحمل السيف وأراد قتلك فخفت من شعاع السيف، ما معنى أن تخاف من شعاع السيف؟ أي أن يحركك من أجل أن ترده وتقاتله، قال : «**فألقِ عليك ثوبك**» حتى لا يحركك شعاع السيف «**فكن عبد الله المقتول ولاتكن عبدالله القاتل**».

وانظر إلى فساد الناس في تقديراتهم في هذا الزمان وفي وضعهم للأمور في غير موضعها إذ يأخذون هذه الأحداث ويأخذون هذه الأحاديث ويطبقونها على من أمرهم الله عز وجل بقتالهم، وجعل أعظم الأجر في إراقة دمائهم ومع ذلك يأخذون هذا الأمر ويأخذون هذه الأحاديث ويأخذون هذه السيرة المطبقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً، وفعلاً من أصحابه، فيضعونها في غير موضعها، ويرفعون أحاديث للناس ويقولون انظروا ماذا يدعوكم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا يدعوكم إلى ترك القتال والصبر على البلاء، وأن تكون عبد الله المقتول لا أن تكون عبدالله القاتل.

وهذا كله -أيها الإخوة الأحبة- كمن رأى أن العمامة لباس وهي حقٌ اللباس، وأن الحذاء لباس وهو حقٌ لباس، فلجامع الأمر بينهما في كونهما لباساً وضع الحذاء فوق رأسه، وألبس رجله العمامة، هذا هو شأنهم.

وحين يخاطب بأنك قلبت الأمور وأفسدت دين الله وغيرت الحقائق قال لك هذا حديث نبوي، قال لك هذا دين الله، أتنكر علي احتجاجي بآية أو حديث أو بفعل

صحابي جليل، وهذا من تمام الفساد وتمام الخلط وهذا ما لو تُرك أهل الفساد في فسادهم كمن يريد الترفق معهم دائمًا كما هو مبدأ ما يقال لهم بعلماء النفس مثلًا الذين يريدون النظر إلى العاصي كمريضٍ يحتاج إلى التغيير لا إلى العقوبة فيجعلون العقوبة مفسدة فهم يتعاملون مع المفسدين على هذا النسق من أنه لابد من الموعظة وهذا قد تظنونه غريبًا، أو ربما يصل غرابة وصفه إلى درجة إنكاره ولكنه في الحقيقة موجود موجود في كلام المتكلمين وفي خطب الخطباء بل في مناهج الجماعات بل في ألفاظ الوعاظ والمدرسين الذين يُشار إليهم بالبنان.

لا يجوز لنا أن نذكر وهن الأمة في وقت ضعفها، لماذا وضعت الأحاديث النبوية التي فيها النَبوءة بنصرة دين الله ومتى كان يقولها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، في وقت غزوة الخندق فالإسلام يُبتلى ويكاد أن يُجتث من جذوره، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوعد الله له، بنصرته وغلبته على أكابر الدول على فارس والروم، في هذا الموطن تكون الحاجة إلى أحاديث مبشرات ترفع الهمم وتدفع الأرجل إلى العمل وتحريك الإرادة.

وفي وقت حصول البلاء والتقاء الجيش يبدأ الاستضعاف وشعور الضعف أمام الله وشعور التبشير، كما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه عندما وصل إلى قليب بدر يخرج إلى الناس ويقول لهم: والله إنّي أرى مصارع القوم، هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان.

فما أخطأ واحد منهم إشارةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي كما أخبر بها عليه الصلاة والسلام.

أيجوز لأحد أن يأتي للصحابة وقد اصطفوا للقتال في وجه أعداء الله عز وجل من أجل يذكرهم بحكمة الدعوة؟

وهل الموطن موطن دعوة؟

الذين أمامك من أعداء الله قد شهروا السيوف ووضعوا العدد والخطط من أجل القضاء عليك، هذا موطن حكمة الدعوة؟

حين يكون الإسلام مبتلى والأعداء يتناوشونه من كل جانب، هل من الدين الذي أنزله الله أن يكون الحديث حينئذٍ عن أحاديث الفتن التي تقع بين المسلمين في أن يجلس الرجل في بيته وفي قعر بيته، ويقول مالي وما للناس؟

أليس هذا هو الموت؟

أليس هذا هو القضاء على دين الله عز وجل؟

أليس هذا الذي يريده أعداء الله عز وجل؟

أليس هذا هو الذي يريده الشيطان من هذه الأمة، أن يخلّوا بينهم بين هؤلاء الشباب، بين المجاهدين وبين أعداء الله ويقوم أصحاب الورع البارد ليكونوا أحلاس بيوتهم كما يزعمون، هذا هو وضع الشريف في غير موضعه.

فلابد للناس أن يعرفوا أي حكمة توضع في الباب الذي هم فيه.

ولذلك ليس من دين الله عز وجل في شيء أن يحقر الصغير إن كان في دين الله عز وجل صغير في وقت الناس يحتاجون إليه، إن الحديث عن السنة، بل إن الحديث عن الوضوء يكون عظيماً إذا حضر أمره، فهذا عثمان بن عفان الخليفة الذي انشغلت جنوده في مشرق الأرض ومغربها للجهاد ونشر دين الله ونصرة هذا الدين يُحضِر أصحابه يوماً ليعلمهم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا موطن هو موطن خير ويجب أن يتعلموه ويجب أن يعرفوه.

حين نكون نحن في هذه البلاد وأكبر المصائب هي التالية :

أولاً: ذوبان جموع الشباب والعائلات والفتيان والفتيات في داخل مستنقع هذه المجتمعات التي كفرت بالله وسيطر عليها الشيطان.

ما هي الحكمة التي يجب أن يخاطب بها الناس؟

وما هو الجُرم الذي لو تكلمت به لكنت مجرمًا؟

هل الحكمة في هذا الوقت أن تتحدث عن أخوة الإنسان للإنسان واتفاق دعوة الإسلام في بعض جوانبها كما يزعمون مع دعوة الغرب في بعض جوانبها كما يزعمون

حتى تصبغ الواقع بشرع الإسلام وتزيد انحدار شباب الإسلام في معاصيهم وفي تشبههم بالغرب وفي انحدار عائلاتهم؟

أين الحكمة؟

هل ينقص أهل الإسلام اليوم؟

انظروا إلى خطيب أو شيخ ربما يطوف في البلاد داعيًا أن نأخذ بحضارة الغرب وأن نقتبس من علومها، أتظنون أن مثل هذه الأمور قد أعرض عنها أقوام؟

تعالوا إلى عدد المسلمين في الغرب، تعالوا إليهم، وانظروا إلى نسبة من بقي محافظًا على دينه ومع ذلك ترى الصوت عليهم وترى الكلمة متوجهة إليهم كأنهم المعنيون فقط بالخطاب ولا خطاب للذين انسلخوا من دينهم وفسدت أعراضهم وتغيرت سحنة ولكنة أبنائهم، ولم يأتوا إلى دين الله إلا من عيد إلى عيد أو من موسم إلى موسم، أترى الخطاب إلى هؤلاء، أترى الخطاب إلى المتحللين من دين الله؟ أترى الخطاب إلى من نزعت زوجته برقع الحياء عنها أو نزعت لباس الإسلام عن عورتها؟ أترى الخطاب إلى هؤلاء؟ أم كأن الدنيا كلها تسير على هذه البقية التي يسمونها بالمتطرفين وكأن هؤلاء جهلة ينكرون وجود الشمس و ينكرون لغة الناس ولا يستخدمون وسائل الاتصال، يصورونهم كأنهم في سُبات كأهل الكهف؟

فما الواجب، ما هو الواجب؟

الواجب في هذه الحالة أن تكون الكلمات لنزيد مناعته من ذوبان هذا المسلم في هذه المجتمعات الرذيلة، في هذه الأمم والدول التي قادها الشيطان في سبيله وأخرجها من قيمة الحق والهدى وقيم الخير التي فطر الله الناس عليها.

الأمر الثاني: هل جعل الله عز وجل جامع الناس في بلد من البلاد وفي عشيرة من العشائر على هذا الأساس منّة الله قدرية، والقدر لا يد للإنسان فيه وشرع الله عز وجل هو المكلف به الإنسان؟

هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا منة الله القدرية أساس الولاء والبراء، يعني.. انظروا إلى قوله عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ**﴾. فهذه منّة قدرية أن يكون

لك أب أن يكون لك أم أن تكون لك عشيرة أن تلد بين أناس يميلون إليك بحكم العشيرة بحكم الشعب الذي تنتمي إليه بحكم اللغة، بحكم رابطة النسب والدم فهذه منن إلهية، لكن أترون ربنا عز وجل جعل الولاء والبراء على هذا الأساس إذا كانت أسس القبيلة والعشيرة وهي أساس الدم، إذا كانت أسس الولاء بالنسب كأسس الأبوة والبنوة والأمومة، لا تقف، لا تقف أبدًا أمام شرع الله.

أي شيء هذا الذي يزعمونه الوطن أو يزعمونه الدولة، هذه الدولة التي ترونها هي أمر حادث، والناس أساسًا يلتقون على أساس القبائل والعشائر ثم قد قامت الأديان بتمصير البشر وكان قد جعل الإسلام التعرب، جعله من الكبائر والتعرب هو الذهاب إلى الأعراب وترك الأمصار التي تجمع الناس، فيتعلم فيها الجاهل و يستفيد منها الغبي ويلتقي فيها الناس على أساس الاجتماع وعلى أساس المصالح.

فأي شيء في دين الله من المنّة أن يكون أساس حركة الإنسان على أساس دولة غلب فيها الناس أو غلب فيها أُناس على هذه الدولة أو اتفق الناس فيما بينهم أن يكون بينهم نوع صلة على أساس هذه الدولة مما يقال لها المواطنة أو التي يعبر عنها اليوم بالجنسية؟

إذا كانت صلة الدم وكانت صلة النسب لا تعد شيئاً أمام دين الله.. أليس من الواجب اليوم أن يكون الكلام إياك أن تضيع دينك وإياك أن تفرط بإسلامك أمام هذه الروابط التي يحدثها الناس أو التي يراد منك أن تنسخ لتكون في سِنًا في دولاب هذه الدول وهذه المواطنة.

إن الواجب أيها الإخوة الأحبة أن يتأمل المرء دين الله وأن يتأمل الحكم ويرى كيف وقع فيه الخطاب وهذا من غير أن يقع فيه الفساد.

انظروا إلى رجلٍ يفتي مثلاً بجواز أكل أي ذبيحة هكذا إذا سميت عليها وهي لحم بعد ذبحها ويقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سمّوا الله وكلوا.

يقول كانت تأتي لحوم إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم و إلى مدينته، فسئل عنها فقال :سمّوا الله وكلوا.

ولا ينظر إلى سبب الحديث ولا ينظر إلى مأخذه وما هو وجهه في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، عائشة رضي الله عنها تقول كان يأتينا من قوم حديثو عهد بالإسلام، حديثو عهد بالإسلام فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طعامهم، فقال: سموا الله وكلوا فانظر ما هو الذي من اللحم إن جاءك سميت الله عليه وأكلت أهو كل لحم يأتيك أم هو اللحم الذي جاءك من رجل حديث عهد بإسلام ولا تدري أيذكر الله عليه أم لا يذكر، أما أن يأتيك لحم من أي قوم من مجوس من ملحدين ممن تجزم أنهم يقتلونهم صعقاً أو يخنقونه خنقاً وتقول: سموا الله عليه وكلوا!

هذا من الإفساد لدين الله !

انظروا إلى هذه العبارة التي تسمعونها كل يوم وكنا نظن أن العوام هم الذين يقولونها حتى رأينا المعممين تسير على ألسنتهم ولا يتحققون منها، يقولون: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهم يسوقونها على اليهود والنصارى، يسوقونها على اليهود والنصارى إذا دخلوا في ذمة المسلمين، يقولون فإن قبلوا، أي الدخول في الذمة، في ذمة المسلمين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، ويحتجون بها هذه الأيام على جواز تولي الكفرة تلك المناصب التي يحصل بها العلو والقيادة والمسؤولية في دولة الإسلام فلهم ما لنا ولنا من الحقوق وهم كذلك لهم من الحقوق وعليهم ما على المسلمين من الواجبات وعلينا ما عليهم من الواجبات، وهذا هو تمام الفساد من جهتين:

أما الجهة الأولى:

فهذه إنما هي من الوثيقة التي بينت أساس العلاقة بين الأنصار والمهاجرين في المجتمع الجديد في المدينة المنورة أي إذا هاجر المسلم من بلده إلى بلد الإسلام، المسلم إذا هاجر من بلده إلى بلد الإسلام فحينئذٍ -بسبب الهجرة- له ما لنا وعليه ما علينا، ولذلك في الوثيقة النبوية قال: والمهاجرين والأنصار أمة من الأمم من دون الناس ،قال المهاجرون والأنصار أمة، صاروا أمة واحدة لا فرق بين من نشأ في هذه البلدة من قبل آبائه وأجداده ولا من هاجر إليها اليوم وهم أمة واحدة لا فرق بين مهاجر ولا بين أنصاري وهذا هو أساس الجنسية في دين الله. . فإن الجنسية في الدولة المسلمة تنشأ بالإسلام أولاً، ثم بالهجرة ثانياً ثم ببيعة الإمام المسلم ثالثاً.

أولاً، لابد أن يكون مسلماً، ثانياً لابد أن يهاجر، ثالثاً لا بد أن يبايع فإذا حصل هذا قال هو من أمة هذه الدولة ومن أمة الإسلام قال ثم قال بعد ذلك: وهم أمة من الأمم من دون الناس.

أي لا يدخل غير المسلمين معهم كما أنهم لا يدخلون مع غير المسلمين في تحالفاتهم ولا في نظمهم إذ لا حلف في الإسلام، المسلم عليه الجهاد فهل على الكافر جهاد؟! ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ارجع فإني لا أستعين بمشرك**».

فأين الذي علينا هو عليهم؟!

على الكافر الجزية والعشور والمكوس فهل على المسلم جزية.

يقول صلى الله عليه وسلم: «**وأن لا يقتل مسلم بكافر**».

فأين لهم مالنا وعليهم ما علينا، فانظروا إلى هذه الكلمات وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي تستخدم في غير بابها، وتوضع على غير أسبابها وعلى غير حقائقها حينها تكون العمامة ملبوسة على القدم ويكون الحذاء مطأطأٌ تحته الرأس ويكون الفساد في الأرض

فالواجب أن تضع الأمور مواضعها.

وإن هناك من أصحاب الكلمات من هم أحق بالحبس من السراق واللصوص كما قال الحسن البصري: وإن قوماً في المسجد يتكلمون لهم أحقّ بالحبس من السراق واللصوص.

هم أولى، كما أن السراق واللصوص يفسدون أموال الناس وحقوقهم وذممهم، فكذلك إن بعض المتكلمين يفسدون عقول الناس وقلوبهم وأديانهم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

إن بعض الناس لا يستقيم إلا على طريق.. وهؤلاء كما قلنا أولاً ينقصهم العلم وقبله ينقصهم الإخلاص لأنهم عباد فمثلاً في ظرف من الظروف كان اجتماع حب علي وحب عثمان قلّ ما يجتمع في قلب.

وبعض الناس يتصور أنه لا يمكن للمرء في وقت الفتنة أن يحبّ عليًّا في نفس الظرف ويحبّ عثمان، حتى قالوا: لا يجتمع حب عثمان وحب علي إلا في قلب فحول الرجال.

وهكذا المسلم يكون جباناً بل ونعم الجبن إن صح التعبير حين تكون الخصومة مع إخوانه حيث تكون الخصومة مع مسلم حيث يكون الجبن هو دين الله حيث توزع أنت وتقذف بالجبن فترتدع وتقول أقبل بهذا، لأنه دين الله تُستفز إلى الشر فلا ير الناس منك شراً وكذلك حين تُستفز إلى الخير تكون مقداماً تكون عظيماً في هذا الموطن، فمن الذي يستطيع أن يجمع بين هذين الأمرين، هو الذي لا ينظر إلى هواه ولا ينظر إلى شهوته ولا ينظر إلى حاجته ولا يقيس الأحداث من خلال نظره ولا من خلال جماعته ولا من خلال ماله ولا من خلال منصبه بل دائماً هو ينظر إلى رضا الله فلا يهمه ما يقال ولا تزعزعه الكلمات التي يطلقها الغثاء يطلقها الغثاء.

ثانياً: يحتاج إلى العلم للتفريق بين حالٍ وحال، والتفريق بين ظرفٍ وظرف والتفريق بين عمل وعمل وهذا يحتاج إلى علم مكين وخاصة حين لا يكون الأمر بين خيرٍ وشر بل يكون الأمر بين خير الخيرين وبين شر الشرين،

فالقطة تعرف الخير من الشر وبعض الدواب تعلم الصواب من الخطأ لكن الفرق بين العالم والجاهل بين الذكي والبليد هو الذي يفرق بين خير الخيرين، هذا خير وهذا خير لكن هذا أفضل وبين الذي يفرق بين شر الشرين، هذا شر وهذا شر لكن هذا أكثر، فيقبلوا على دفع الشرور ولو أدى إلى فقدان بعض المصالح وإن من مصالح المرء أن يذكر بخير كما دعا إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿**وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي**

﴿ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ فلا يهمه هذا مقابل أن يعرف الناس الحق والناس بعد أن تنقشع الفتن تعود إليهم عقولهم ويثوب إليهم رشدهم وحينها يستطيعون التمييز بين الأمور.

نسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الحكمة في الأمور كلها، نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتي هي أحسن، اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا وأصلحنا ووفقنا لعمل الصالحات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم أكرمنا بكرامتك ووفقنا لما تحب وترضى اللهم ارفع راية الجهاد واقمع أهل الشرك والفساد اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك اللهم انصر المجاهدين في سبيلك اللهم أكرمهم بكرامتك وألّف بين قلوبهم، اللهم عليك بطواغيت العرب والعجم، اللهم عليك بطواغيت العرب والعجم اللهم عليك بأعداء الدين، اللهم عليك بأعداء الدين اللهم أرنا بهم يوماً تقرّ به قلوب المؤمنين، اللهم كن المستضعفين في الأرض من المسلمين اللهم فك أسر المأسورين وسجن المسجونين اللهم كن للمستضعفين في الأرض اللهم كن للمستضعفين في الأرض اللهم منّ علينا بدولة الإسلام التي يعزّ بها أهل طاعتك ويذل بها أهل معصيتك.